وهذا يدل أيضاً أن الرسول أصبح يشعر بأن لديه مايكفي من القوة لمواجهة القبائل بهذه المطالب. وحقيقة أنه عهد إلى أبرز أصحابه، أبي بكر، وإلى ابن عمه، على بن أبي طالب، بإبلاغ هذا الإنذار إلى القبائل، هي دليل على خطورة الأمر.

وهذا الانعطاف في سياسة الرسول، والضغط الذي مارسه على القبائل، تركاها أمام أحد خيارين: فإما الاستسلام التام لسلطته، وإما حمل السلاح ضده. وهذا مايبدو أنه وقع خلال العام التالي. فالقبائل الأضعف، التي لم تكن مؤهلة للصمود أمام الضغط، رضخت وقبلت بأداء الزكاة على مضض؛ أما القبائل الأقوى، فقد تحدَّت الإنذار واتخذت موقفاً عدائياً صريحاً من الرسول ودعوته. وفيما استمر سيل الوفود على المدينة خلال العام ١٠هـ؛ فإن الأسود في اليمن، مسيلمة في اليمامة، وطلحة في أسد، أعلنوا العداء للرسول وحلفائه ودعوته في حياته[١٤٢].

وفي عام ١٠هـ، قاد الرسول بنفسه الحج، ليؤكد كما يبدو على ماأعلنه أبو بكر في العام الفائت. وكان ذلك في "حجَّة الوداع" الشهيرة، والتي توفي الرسول بعدها ببضعة أشهر. وقبل وفاته بفترة قصيرة، أعد الرسول غزوة إلى سورية، بقيادة أسامة بن زيد بن حارثة[١٤٣]. وكان في جيش أسامة، حسب الرواية، أبرز الصحابة الأولين -أبو بكر، عمر، وأبوعبيدة، وغيرهم- وكلهم بإمرة قائد لايتجاوز الثامنة عشرة من العمر[١٤٤]. وانتشر التذمر بين المسلمين على تعيين أسامة قائداً لهذه الغزوة. لكن الرسول توفي قبل مغادرة جيش أسامة المدينة[١٤٥]. وكانت لوفاته انعكاسات سلبية على